مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

بنغلاديش وإدارة صراع النفوذ الجيو سياسي بين الثلاثي النووي الآسيوي:

كيف تساهم احداث بنغلاديش في إعادة هندسة التوازن الإقليمي في شبه القارة الهندية؟

د. عبد الرزاق غراف

باحث أول

مركز الخليج للأبحاث

من الجغرافيا والسياسة إلى التاريخ إلى الدين والاقتصاد، هي محددات وأحكام فرضت على بنغلاديش حتمية التعايش والموازنة في خياراتها الخارجية بين مصالح ثلاث قوى نووية مجاورة (الصين – الهند. باكستان)، وذلك لما يحمله موقع بنغلاديش من حساسية مفرطة في الحسابات والتوازنات الاستراتيجية بين هذا الثلاثي النووي، حساسية لطالما أثبتت أحداث تاريخية سابقة على حجم تأثيرها في هذه التوازنات سواء فيما تعلق بالحروب الهندية الباكستانية من جهة أو فيما تعلق بصراع الهيمنة بين الصين والهند من جهة أخرى، بل بالأبعاد الدولية لهذه التوازنات التي تعد فواعلها من أكبر الفواعل على المستوى الدولي سياسيا واقتصاديا وعسكريا وبخاصة فيما تعلق بالصين والهند

الإطاحة برئيسة الوزراء الشيخة حسينة واجد من قيادة البلاد اسدل الستار عن عقدين من الحكم بيد من حديد، خمسة عشر منها متتالية ما بين 2009. 2024 م، إضافة الى عهدة سابقة ما بين 1996. 2000 ما يرفع حصيلة تبوئها لهذا المنصب لعقدين كاملين من ضمن خمسة عقود هي عمر دولة بنغلاديش بعد انفصالها عن باكستان سنة1971، ورغم أن البعض يرى أن ظاهرة الانقلابات والاغتيالات هي جزء من الإرث السياسي البنغلاديشي فكل رؤسائها كان مصيرهم الاغتيال أو السجن وآخرهم الشيخة حسينة التي ورغم نجاحها في الهروب للهند إلا أن بداية ملاحقاتها القضائية تحت وطأة تهمة الجرائم ضد الإنسانية ستكون مدخلا لسجنها مستقبلا، ما سيشكل حتما استمرارية لمسلسل الثأر والثأر المضاد الذي اتسم به التاريخ السياسي في بنغلاديش منذ عقود ماضية

داخليا اتسّم حكم الشيخة حسينة بهيمنة حزبها "رابطة عوامي" أو "الشعب" الذي أسّسه والدها الشيخ مجيب الرحمن مؤسس الدولة وأول رئيس لها على الحياة السياسية والانتخابية في بنغلاديش، هيمنة كثيرا ما واجهتها المعارضة بالتشكيك في مصداقيتها، وذلك بالنظر للقبضة الحديدية التي كانت تواجه بها حسينة التي كانت تُكنّى بـ "المرأة الحديدية" معارضيها من كل الأطياف وبخاصة الإسلاميين منهم (حزب الجماعة الإسلامية)، ولم يُستثنى من هذا السلوك الحزب الوطني البنغلاديشي وزعيمته رئيسة الوزراء السابقة خالدة ضياء خلال فترتي 1991. 1996 و2000. 2005م، وهي زوجة ثاني رئيس لبنغلاديش "مطيع الرحمن" الذي قُتل سنة 1981م

غير أن الإشكال الراهن هو ما مدى نجاح الانتفاضة الشعبية التي فجّرها الطلاب والتي أطاحت بإسقاط حسينة في إعادة بلورة الواقع السياسي الداخلي في بنغلاديش على النحو الذي ينقل البلاد نحو حياة سياسية تشاركية حقيقية وبآليات شرعية أكثر

Photo Source: AlJazeera (2024)

مصداقية ونزاهة، إن الجواب عن هذا الإشكال يتطلب إعادة قراءة جذرية للمحددات والآليات والفواعل التي أدارت الواقع السياسي في بنغلاديش منذ سنة 1991 م، تاريخ بداية الحياة البرلمانية في البلاد، وهل بإمكان الانتفاضة الحاصلة الدفع نحو تأسيس فواعل جديدة وبقيادات جديدة تقود المرحلة القادمة، وهو ما يستدعي تجاوز أكبر حزبين في البلاد حزبا عوامي والوطني البنغلاديشي أو بالأحرى تجاوز منطق "الثأر السياسي" الذي ساد العلاقة بين هذه الفواعل في الثلاث عقود الماضية، والأهم من كل هذا طبيعة الدور السياسي للمؤسسة العسكرية مستقبلا

فموقف الجيش في بنغلاديش وموقعه في هرم السلطة هو الآخر يحمل من الأهمية الكثير لتحليل الواقع السياسي في هذه البلاد، خاصة وأن الجيش لطالما كان وما زال أحد أكثر الفواعل تأثيرا في الحياة السياسية وعادة ما يكون موقفه هو الحاسم

> **"التحولات السياسية الراهنة في بنغلاديش جاءت في خضم تحولات دولية وإقليمية متسارعة، سواء فيما تعلق بإعادة هندسة تراتبية النظام الدولي الذي ترغب كل من الصين وروسيا في إعادة تشكيله على نحو أكثر توازنا وتعددية حيث تعتبر الحرب الأوكرانية الراهنة أحد تجلياته"**

في تغليب طرف على طرف، أو بالأحرى الطرف الأكثر حفاظا على مصالح الجيش الاقتصادية والاجتماعية من جهة والمتوفر على معايير القبول اللازمة للحفاظ على استقرار الجبهة المجتمعية من جهة أخرى، الآن وبعد مساهمة الجيش في الإطاحة بحسينة والدخول في مرحلة انتقالية ممهدة للانتخابات القادمة، وبالنظر لدور الجيش الراهن في إدارة هذه المرحلة الانتقالية وهو الذي أشرف على تعيين رئيس الوزراء المؤقت بروفيسور الاقتصاد "محمد يونس" ليس من الواضح مدى القدرة على إزاحة تأثير الجيش في الحياة السياسية مستقبلا أو التقليل منه على الأقل، غير أن الثابت هو أن الخوض في هذا المسار سيترتب عنه تغيير شامل للوضع السياسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي في بنغلاديش على النحو الذي سيؤدي الى فقدان الجيش للكثير من مزاياه ونفوذه السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

خارجيا التحولات السياسية الراهنة في بنغلاديش جاءت في خضم تحولات دولية وإقليمية متسارعة، سواء فيما تعلق بإعادة هندسة تراتبية النظام الدولي الذي ترغب كل من الصين وروسيا في إعادة تشكيله على نحو أكثر توازنا وتعددية حيث تعتبر الحرب الأوكرانية الراهنة أحد تجلياته، أوفيما تعلق بصراع النفوذ الجيوسياسي الإقليمي التقليدي بين القوى النووية الآسيوية الثلاث سواء بين باكستان والهند أو الهند والصين، وهو ما ينذر بإعادة رسم معالم التوازن الجيو سياسي في منطقة شبه القارة الهندية على النحو الذي قد لا تقف تداعياته عند حدود المنطقة بل سيتعداها نحو المستوى الدولي وذلك بالنظر لحجم الفواعل النووية المكونة لهذا

التوازن والكلام هنا عن الصين والهند كثاني وخامس أكبر اقتصاديات العالم. وباكستان بدرجة أقل، وخلف هذا الثلاثي تقع الولايات المتحدة التي يزدادا انغماسها في المنطقة مع تصاعد صراع الهيمنة بينها وبين الصين في جنوب شرق آسيا والمحيطين الهادي والهندي، وهو الأمر الذي يزيد من أهمية موقع بنغلاديش في هذا التوازن الدقيق.

تميزت فترة حكم حسينة بالتقارب مع الهند تقارب وُصف لدى البعض بالاستراتيجي بالنسبة للطرفين، فقد لعبت الهند دورا مباشرا في انفصال بنغلاديش التي كانت تسمى باكستان الشرقية عن باكستان الأم سنة 1971، وقد تعمقت هذه الشراكة خلال حكم نظام الشيخة حسينة وهي التي قاد والدها مسيرة الانفصال عن باكستان بدعم هندي مباشر، وما ساعد على تقوية العلاقات الثنائية بين الدولتين في العقدين الأخيرين هو حالة التوافق الكبير بين نظام حسينة ونظام ناريندرا مودي الهندوسي اليميني المتطرف في الهند اتجاه معاداة باكستان والتيار الإسلامي، فنظام مودي معادي بالفطرة لكل ما يرمز للدين الإسلامي في الوقت الذي لطالما رأى نظام الشيخة حسينة في الإسلاميين خطرا وجوديا عليه، مناخ استغله الطرفان لتكوين شبكة من المصالح المتبادلة هي أقرب للتحالف الاستراتيجي الذي لا يمكن فيه لأي طرف الاستغناء عن الثاني، حافظت بموجبه الهند على موقعها المتفرد كأولوية للتقارب السياسي لدى نظام الشيخة حسينة، تقارب سياسي تعزّز بشراكة اقتصادية متميزة حيث تجاوز حجم التبادل التجاري بين الطرفين 18 مليار دولار سنة 2023م، بنمو سنوي تجاوز 10%.

هذه المعطيات جعلت الهند أحد أكثر الأطراف تأثرا من سقوط نظام الشيخة حسينة والتغيرات الراهنة في بنغلاديش، فكل الخيارات المطروحة توحي بأن عصر العلاقات الوطيدة بين الطرفين قد ولّى بغض النظر عن حجم ومستوى هذا الارتداد، خاصة في ضوء البدائل المتوفرة لإدارة مستقبل السلطة في بنغلاديش سواء الحزب الوطني البنغلاديشي أو الجماعة الإسلامية أو غيرهم فهي كلها فواعل لا تكن ودا للهند وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة بين كل فاعل وآخر، وما زاد من تعقيد مستقبل العلاقة بين الطرفين لجوء الشيخة حسينة للهند بعد فرارها ومدى الدعم الهندي الذي حظيت به أثناء الاحتجاجات، ما ترك سخطا جماهيريا لدى أوساط عريضة في بنغلاديش لن تستطيع أي سلطة جديدة ومهما كانت توجهاتها الداخلية والخارجية أن تتغاضى عنه وتتناساه، رغم أن كل الأطراف مدركة لصعوبة ذهاب السلطة الجديدة في بنغلاديش الى الدخول في حالة من العداء للهند لما لذلك من تكلفة على جميع الأصعدة

ما ساعد على تقوية العلاقات الثنائية بين الدولتين في العقدين الأخيرين هو حالة التوافق الكبير بين نظام حسينة ونظام ناريندرا مودي في الهند اتجاه معاداة باكستان والتيار الإسلامي، مناخ استغله الطرفان لتكوين شبكة من المصالح المتبادلة هي أقرب للتحالف الاستراتيجي

في مقابل ذلك تقف العلاقة مع باكستان على النقيض تماما من نظيرتها مع الهند، فعوامل التقارب سواء التاريخية منها أو الراهنة في عهدي حسينة ومودي هي بمثابة عوامل للتنافر بين بنغلاديش وباكستان، فقد أمعنت حكومة الشيخة حسينة في اضطهاد رموز التقارب مع باكستان وفي مقدمتهم رموز الجماعة الإسلامية الذين أُعدم الكثير منهم بدوافع سياسية بحتة بعد أن تم تحويل أجهزة القضاء الى أداة لقمع المعارضة، ولم يسلم رموز الحزب الوطني وعلى رأسهم رئيسة الوزراء السابقة خالدة ضياء من الأداء التسلطي لحكومة حزب عوامي وزعيمته الشيخة حسينة، مسار كان له كبير الأثر في تأجيج الشارع ضد نظام الشيخة حسينة واستخدام المعارضة لهذه الورقة لزيادة حدة الامتعاض الجماهيري ضد حزب عوامي وشخص رئيسة الوزراء.

> تقف العلاقة مع باكستان على النقيض تماما من نظيرتها مع الهند، فعوامل التقارب سواء التاريخية منها أو الراهنة في عهدي حسينة ومودي هي بمثابة عوامل للتنافر بين بنغلاديش وباكستان، رغم أن الأخيرة تدرك حتمية عدم التورط المباشر فيما يحدث من تحولات داخل بنغلاديش

من جهة أخرى تدرك باكستان حتمية التريث والتأني وعدم التورط المباشر فيما يحدث من تحولات داخل بنغلاديش، لما لذلك من حساسية وتأثير في مستقبل علاقتها مع ما قد تفرزه التحولات من نتائج ومخرجات، بُغية أن لا تظهر بمظهر المؤثر في الأحداث وبالتالي ترتد عليها تداعيات أي قرارات ظرفية بدافع الحماس على معادلات التوازن وبخاصة مع الهند، رغم أن باكستان وبالنظر لعلاقاتها المتميزة مع الحزب الوطني والجماعة الإسلامية يعدّ الوضع الراهن بالنسبة لها فرصة ذهبية لإعادة شيء من النفوذ المفقود ومعه شيء من التوازن الاستراتيجي مع الهند، وذلك في ضوء العداء غير المعلن بين هذه الأطراف المرشحة لتولي السلطة وبين الهند، غير أن هذا الخيار يقف أمامه عائق الذاكرة المجتمعية لفترة ما قبل انفصال بنغلاديش والتي لعبت دورا بارزا في الانفصال أولا ثم في استمرار التقارب بين الهند وبنغلاديش بعدها، فضلا عن مدى امتلاك باكستان للمقومات اللازمة التي تسمح لها ملأ جزء من الفراغ الناجم عن أي تراجع في مستوى النفوذ الهندي الحالي في بنغلاديش

الصين هي الأخرى معنية بشكل مباشر بما يجري من تحولات وما قد تفرزه من نتائج، فالصين هي أكبر شريك تجاري وأكبر حليف عسكري لبنغلاديش، فعسكريا تمتلك الصين أكبر حصة من واردات السلاح لبنغلاديش بما يوازي 72% من مجموع هذه الواردات، أما تجاريا فيبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين زهاء 25 مليار دولار وهو ثاني اكبر تبادل تجاري في جنوب آسيا بعد ذلك الذي يجمع بين الصين وباكستان، وما عزّز من هذه

الشراكة انضمام بنغلاديش لمبادرة الحزام والطريق التي عزّزت من الحضور الاستثماري الصيني في بنغلاديش حيث يبلغ حجم الاستثمارات الصينية زهاء 38 مليار دولار كثاني أكبر وجهة استثمارية في جنوب آسيا بعد باكستان

سياسيا وقوف الصين على مسافة واحدة من جميع الأطياف السياسية في بنغلاديش فبقدر قربها من حكومة الشيخة حسينة، فإن للصين علاقات وثيقة بقادة الحزب الوطني المعارض، وهو عامل قد يزيد من مصداقية الدور الصيني مستقبلا مع أي طرف قد يصل للسلطة، مصداقية حتما لن يقف دورها في حدود الملف السياسي بل ستتعداه الى مستويات أخرى اقتصادية وعسكرية ستعزز من موقع الصين المتفوق أصلا في بنغلاديش، بل سيكون دافعا نحو كسر نسبي لقواعد التوازن وبخاصة مع الهند.

وسط هذا الثلاثي النووي تراقب الولايات المتحدة هذه التوازنات عن بعد وهي التي تربطها علاقات اقتصادية وعسكرية قوية مع بنغلاديش حيث يبلغ حجم التبادل التجاري بين الطرفين زهاء 10 مليار دولار، فالولايات المتحدة التي زاد انغماسها كما ونوعا لدواعي مرتبطة بارتفاع منسوب التنافس الذي أصبح أقرب للصراع الجيو سياسي مع الصين في جنوب وشرق آسيا والمحيطين الهادي والهندي تدرك أهمية بنغلاديش في مستقبل هذا التنافس واستراتيجيتها لاحتواء ولجم النفوذ الصيني الراغب في التمدد، خاصة في ظل موقع بنغلاديش الجيو استراتيجي الرابط بين جنوب وجنوب شرق آسيا وموقعها المطل على خليج البنغال، ما خولها لتكون حلقة وصل بين التكتلات الجيو سياسية والجيو اقتصادية الكبرى في هذه المنطقة على غرار تكتل "الآسيان" لدول جنوب شرق آسيا ومنظمة شانغهاي للتعاون ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي "سارك"، وهي كلها فواعل تتوسطها بنغلاديش بموقعها الاستراتيجي المتميز وما تحتويه من مقومات في البنية التحتية وبخاصة ما تعلق بالموانئ المطلة على خليج البنغال والتي تعد مركزا حيويا لخطوط التوريد والتبادلات التجارية العالمية والإقليمية.

> **"فالصين هي أكبر شريك تجاري وأكبر حليف عسكري لبنغلاديش، فعسكريا تمتلك الصين أكبر حصة من واردات السلاح لبنغلاديش بما يوازي ٧٢٪ من مجموع هذه الواردات، أما تجاريا فيبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين زهاء ٢٥ مليار دولار وهو ثاني اكبر تبادل تجاري في جنوب آسيا بعد ذلك الذي يجمع بين الصين وباكستان"**

بنغلاديش المعني الأول بما يحدث من تحولات وبغض النظر عما ستفرزه الاحداث من صعود فواعل جديدة للسلطة ومهما بلغ مدى الاختلاف مع نظام الشيخة حسينة في توجهاتها داخليا وخارجيا، إلا أن ذهاب السلطة الجديدة نحو تغيير راديكالي

يؤدي الى تغيرات كبرى في موازين القوى التي ورغم إقليميها إلا أنها تحمل أبعادا دولية خطيرة بالنظر لحجم هذه الفواعل هو أمر مستبعد الحدوث على الأقل في ظل الظروف الراهنة والمرحلة الانتقالية والمخاض السياسي الذي تمر به البلاد، وانتظارا لما ستؤول إليه الأمور وما ستفرزه المرحلة الانتقالية من فواعل سلطوية جديدة فإن موقع بنغلاديش في معادلة التوازن الإقليمي لن يتعرض لكبير الأثر، رغم أن كل السيناريوهات تشير الى أن أكبر التحديات المنتظرة هي تلك التي ستواجه الهند، والسبب هو أن ليس للهند من فواعل أكثر قربا لها ويمكن أن تعتمد عليهم للحفاظ على نفوذها أكثر من الشيخة حسينة نفسها، وهو ما يعكس طريقة استقبالها بعد الإطاحة بها في خطوة يُجمع كل الأطراف أنها القشة التي قد تقسم علاقة الهند بباقي الفواعل المعارضة لنظام الشيخة حسينة في داخل بنغلاديش، رغم صعوبة قياس حجم وطبيعة وحدود تأثير ذلك على النفوذ الهندي في بنغلاديش.

لعبة التوازنات الجاري إعادة هندستها وفق ما ستفرزه التحولات الراهنة في بنغلاديش، ستعيد قراءة المنظور الاستراتيجي لهذا الثلاثي النووي إضافة للمنظور الأمريكي أو حتى الروسي الذي ورغم انشغاله بالصراع في أوكرانيا إلا أنه علاقاته بهذه الأطراف تحتَّم عليه أن يكون ضمن فواعل التأثير والتأثر ولو نسبيا، والثابت في القراءة الجديدة أن هذه التوازنات قد تتعدى موقع كل فاعل على حدى نحو رسم معالم لثنائيات متوازنة على غرار قيام محور هندي أمريكي في مواجهة محور صيني باكستاني على تكون فواصل هذه المحاور مرنة وليست مطلقة فالتقارب الأمريكي الهندي سيكون متأثرا بالتقارب الهندي الروسي وكذا التقارب الصيني الباكستاني سيكون متأثرا بعلاقات باكستان بالولايات المتحدة، ليبقى العامل والمحدد الأكثر حسما هو مستقبل موقع بنغلاديش ذاتها من هذه التوازنات.

Photo Source: eurasiareview (2024)

> وسط هذا الثلاثي النووي تراقب الولايات المتحدة هذه التوازنات عن بعد وهي التي تربطها علاقات اقتصادية وعسكرية قوية مع بنغلاديش حيث يبلغ حجم التبادل التجاري بين الطرفين زهاء ١٠ مليار دولار

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium